الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب عربي

الأستاذة: إيمان حراث

المستوى: سنة ثالثة ليسانس

تخصص: دراسات أدبية

الأفواج: (1+2+3)

المحاضرة الرابعة:

الرواية في تونس

أولا: النشأة:

لم تظهر الرواية التونسية في زمن محدد، وإنما اختلف النقاد والأدباء في تحديد الفترة التاريخية لهذا الفن، حيث ذهب الدكتور بن جمعة بوشوشة إلى أن للرواية التونسية بدايتين وهذا بعد ظهور المقامة والقصة والأجناس الأخرى، ظهرت الرواية وأولى بداياتها: تتخذ زمنيا مع موفى الثلاثينات ومطلع الأربعينات من القرن العشرين، وتمثل هذه البداية أعمال محمود المسعدي"، والحقيقة أن أحاديث أبي هريرة للمسعدي قد ظهرت فعلا في هذه الفترة، ولكنها لم تنتشر كاملة في شكل رواية إلا في عام 1973م، و كذلك كتاب "مولد النسيان" نشر بدوره في فصول من أفريل إلى جويلية 1945م، لكنه لم ينشر في كتاب إلا عام 1974م، أما البداية الثانية للرواية التونسية في رأي الباحث السالف الذكر هي نهاية الستينات وتجسدها رواية (الدقلة في عراجينها) للبشير خريف الذي يعد أب الرواية التونسية الحديثة والمعاصرة، وأيضا في منتصف القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين من خلالها سجلت الحركة الأدبية والفكرية ظهور أول أقصوصة تونسية هي "الليلة الأخيرة بغرناطة" وأول رواية هي (الهيفاء وسراج الليل)، وبداية النشاط المسرحي وتأليف أول نص مسرحي تونسي هو "السلطان بين جدران يلذر"، كانت بداية الرواية التونسية حسب النقاد والباحثين مع رواية صالح السويسي، وتعتبر وليدة الفن الروائي بعد كل من القصة والمقامة.

غير أن قضية النشر كانت بدايتها الحقيقية سنة 1956م مع "وأخيرا تزوجتها" لأحمد المنيف وبذلك يتجاوز التفاوت الزمني بين بداية كتابة الرواية وبداية نشرها في شكل كتاب مستقل العقدين، وقد شهدت الفترة الممتدة بين هذا التاريخ و نهاية 1969م، صدور (17) رواية أدبية صدرت في كتب مستقلة ما عدا واحدة، في هذا العدد المرتفع نسبيا تأكيد للتوجه الذي عرفه نشر الرواية خلافا للقصة القصيرة التي بقيت أكثر التصاقا بالصحافة الأدبية و المجلات الدورية، هذا ما جاء به الباحثون في مؤلفهم تاريخ الأدب التونسي، بحيث يشير قولهم إلى أن قضية النشر من القضايا التي اعترضت طريق المؤرخين، لأن الأعمال الروائية التونسية لم تحدد تلك الطريقة التي تقودها للنشر.

وأول رواية ظهرت في تونس بالمعنى الأوروبي هي رواية من الضحايا 1956م، لمحمد العروسي المطوي وهي ذات نزعة تاريخية تبجيلية وذات طابع تعليمي وتعالج الصراع من أجل استرجاع الأرض المغتصبة من الإقطاعيين، رواية نزعتها تاريخية منجزة من الشكل الروائي من ناحية السرد والزمن.

ثانيا: تطور الرواية التونسية:

كما مرّت الرواية التونسية بمراحل، ولعل أنسب المعايير التي يمكن اعتمدها في تحديد المراحل الكبرى للرواية التونسية، معيار الشّكل المادّي الخارجي، والمعيار الزّمني وباعتماد هذين المعيارين تلوح لنا مرحلتان متباينتان، الأولى هي مرحلة صدور الروايات في كتب مستقلة، وقد انطلقت سنة 1956م بقيام دولة الاستقلال.

أ. مرحلة البدايات في عهد الاحتلال:

تتسم هذه المرحلة، بغياب كلّي للرواية التونسية عند باعت الكتب، مقابل حضور الروايات الشرقية والروايات الناطقة بالفرنسية الوافدة من بلد المستعمر، إن دراسة الرواية التونسية في هذه المرحلة، لا يكون الغرض منها إلا تاريخيا، حيث يمكن تقسيم هذه المرحلة إلى مرحلتين:

❖ **مرحلة الترجمة والاقتباس والتدرب على الفن الروائي:**

حيث اكتشف التونسيون، كغيرهم من العرب الرواية في النّصف الثاني من القرن العشرين بالاطّلاع على بعض الروايات الغربية، فاقبلوا على ترجمة عيّنات منها وإن كانت قليلة للغاية وتمّ الاتفاق على أن أوّل رواية ترجمت، فهي "خاتم عقد بني سراج" "لـريني دي شاتو بريان"، وقد نقلها إلى العربية "محمد المشيرقي" (1885م – 1946م) سنة 1909م، وفي الفترة نفسها اقتبس "إبراهيم بن شعبان" (1930م – 1992م) رواية من شريط سينمائي عنوانها "فضائع المقامرة"

❖ **مرحلة تشكّل الوعي الإبداعي:**

لقد بدأ الوعي بأن الحكي، فن قائم الذات وليس عملية تأريخية أو مطيّة للالقاء خطبة وعظية أو سياسية، في القصة القصيرة لدى جماعة تحت السور وخاصة منهم "علي الدوعاجي"، بدءا من أوائل الثلاثينات بمجلة العالم الأدبي.

ب. مرحلة ما بعد الاستقلال:

إنّ سنة حصول البلاد على استقلالها، هي عمليا التأريخ الفعلي لظهور الرواية في تونس، لأنّها السنة التي صدرت فيها أول رواية مطبوعة في شكل كتاب، ثم توارت الروايات على شكل محتشم إلى بداية الثمانينات، إذ لم تظهر حتى سنة 1980م سوى ثلاث وأربعين رواية، فظهرت في عشرية واحدة

من 1981م إلى سنة 2000م مائة وخمس وثلاثون رواية، ومن سنة 2001م إلى سنة 2009م مائة وثمان وخمسون رواية، هذا الكم من الروايات وإن لم يكن ضخما مقارنة بما يصدر في بعض الأقطار المشرقية، فإنّه لم يدرس إلى اليوم دراسة شاملة يحسم فيه على نحو موضوعي، بين ما هو متميّز وما هو عادي وما هو رديء.

هناك روايات تونسية غيّرت من منحى الأدب التونسي منها:

1. رواية "حدث أبو هريرة قال" لـ "محمود المسعدي":

وهي رواية تترجم الأفكار الفلسفية الوجودية للكاتب التونسي "محمود المسعدي"، نشرت سنة 1973م عن الدار التونسية للنشر، وقد بثّ فيها الكاتب أفكاره الفلسفية الوجودية من خلال البطل أبو هريرة، معتمدا على لغة مكثفة وقديمة، واعتبرها الناقد "توفيق بكار" كأهم مغامرة روائية في القرن العشرين، واختيرت كتاسع أفضل مئة رواية عربية، نسبها بعض النقاد إلى الأقصوصة تارة، وإلى الحديث الأدبي تارة أخرى.

2. رواية " الدقلة في عراجينها " لـ "البشير خريف":

الدقلة في عراجينها كتبها البشير خريف عام 1969م، تعتبر من أطول الروايات التونسية من حيث عدد الصفحات، حيث قسم الكاتب روايته إلى 3 ثلاث أجزاء يتبعها بطابع تسجيلي انتقادي، بمعنى أن عديدا من الشرائح الاجتماعية تتعرض لاستغلال الاقطاع، ومن هنا الرؤية الاجتماعية لدى الكاتب رهينة مفهوم الإطار الفكري المتكىء على الانتساب الحزبي والايديولوجي كمعين اشتهر في ذلك الوقت على حل الأزمات والعراقيل والمعوقات.

3. "سهرت منه الليالي " لـ "علي الدوعاجي":

وهي مجموعة قصصية، من أشهر ما كتبه الأديب التونسي علي الدوعاجي، وقد جاء عنوانها من عنوان "محمد عبد الوهاب"، وقد جمعها "عز الدين المدني" من الجرائد والمجلات القديمة وأصدرها عام 1969م، تتميز من غيرها من القصص بالنقد البناء، الذي يبرز من خلال نقل الواقع المعيشي. هذه القصة تحكي عن حياة امرأة تعاني الأمية، والتي تزوجت برجل يتعاطى السكر والعربدة، فيتسلط عليها وينعتها بأفظع الصفات... حيث جسدت الواقع التونسي المعيشي، بصورة حية في ظل قلة الوعي والأمية التي كانت نتيجة الاستعمار لفترة طويلة في البلاد.

4. رواية "التوت المر" لـ "محمد العروسي المطوي":

التوت المر، هي رواية اجتماعية من النوع الواقعي، للأديب التونسي المعاصر "محمد العروسي المطوي"، صدرت عام 1967م في 214 صفحة، تروي صراع ثلّة من الشباب الوطني، ضد ما كرسه المستعمر من آفة تعاطي التكروري، وتتناول الرواية أيضا العديد من القضايا الاجتماعية كالمعاناة من الفقر، والبؤس والشقاء من أجل الحصول على لقمة العيش، إذ تمثل عائلة الشيخ مفتاح نموذجا لذالك، فهي عائلة شردتها الحرب، وعانت الويلات بحثا عن الأمن والاستقرار.

5. رواية "ليلة سنوات العشر" لـ "محمد صالح الجابري":

هي رواية تونسية، ألفها الكاتب التونسي محمد صالح الجابري سنة 1982م، تحوي 275 صفحة تم تحويلها إلى فلم سينمائي، تحكي هذه الرواية عن قصة كفاح التونسي أيام الاستعمار الفرنسي، تعتبر الرواية معاصرة لأحداث الشعب 1978م في تونس، وما فيها من تناقض بين الحكومة، والمنظمة النقابية وما فيها من أزمات. كما تمثل تبلورا لفكر الرفض السياسي، والتمرد على الروابط الاجتماعية السائدة.

ثالثا: التجريب في الرواية التونسية

رفضت الرواية في تونس أن تكون ظلاً للرواية المشرقية ولا الغربية، وهذا ما جاء به، "محمود طرشونة"، في قوله: نعقد أن الرواية في تونس قد شقت طريقها بمعزل عن الرواية العربية و تجاربها الحديثة باستثناء بعض النماذج إنها تأسست في الخمسينات فاستهلت أحداث الماضي، ثم أخذت شيئًا فشيئًا تندرج نحو الواقع الراهن و تتكيف حسب شخوصه وقضاياه منكمشة على نفسها غير منفتحة حتى على الرواية المشرقية إلا نادرا، مؤكدًا أن التجربة الروائية التونسية منفردة.

انطلق التجريب في الرواية التونسية خلال ستينات وسبعينات القرن العشرين، حيث رصدت مؤشرات دالة على إزالة النزعة التجريبية ومن هذه المؤشرات حدة التمرد المعلن على القوالب والأشكال القائمة و ما يكتف الكتابة أحيانًا من غموض مبالغ فيه يكاد يتحول إلى ما يشبه الإستيحاء السوريالي دون سياق مقبول، بحيث بدأت الرواية التونسية نحو التجريب و الحداثي في سياق عودة الكتاب إلى الاهتمام بالبحث عن الذات وإعادة بناء الهوية عبر محاورة الأنا والآخر تراثا كان أو غربا، ومن روايات هذا الاتجاه: (الرحيل إلى الزمن الدامي 1981م لمصطفى المدايني)، ("ن" 1983م) ، (أعمدة الجنون السبعة 1985م)، (تماس العروسية التالوتي)، (توقيت البكاء 1982م لمحمد علي اليوسفي)، ولعل أهم

رواية تونسية حققت شهرة مغاربية وعربية وكانت منطلق النزعة الحداثية ومرجعها ومأزقها كذلك في الرواية التونسية هي "حدث أبو هريرة قال" 1973م لمحمود المسعدي، الذي يعد رائد الرواية التجريبية التونسية متتبعا لمنهج الروائيين المشارقة والمغاربة، جاءت الرواية تحيل إلى شخصية أدبية تراثية أضحت معروفة لدى قراء الأدب ألا وهي شخصية "أبي حيان التوحيدي"، حيث نجد أن المسعدي يستفتح فصوله للكتاب بأبي حيان التوحيدي.

المصادر والمراجع

1. صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية.
2. مجموعة من الباحثين، تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر
3. عبد الحميد عقار، الرواية المغاربية "تحولات اللغة والخطاب"
4. محمد الباردي، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة
5. الرواية التونسية عن الموقع الإلكتروني http//alantologia.com/blogs/12204/22 سبتمبر 2018م
6. روايات تونسية، نقشت في الذاكرة من الدقلة في عراجينها إلى التوت المر، من الموقع الإلكتروني www.jomhouria.com 01 جوان 2018م.
7. مختار الشيباني، خمس روايات تونسية غيرت من منحى الأدب التونسي، من الموقع الإلكتروني noonpost.com نشر في 22 ماي 2016م.